

الجسد الأنثوي وإشكالية الجندر: قراءة في الوجود

**Article Title: The Female Body and the Problematics of Gender :
Reading in Existence**

آمنة بلحساين¹، فاطمة رزايقية²

¹ جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، amina.belhassaine@univ-tlemcen.dz

² جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي (الجزائر)، rezaiguia.fatma@univ-oeb.dz

تاريخ الإرسال: 2025/09/21 تاريخ القبول: 2025/12/03 تاريخ النشر: 2025/07/31

ملخص: للجسد الإنساني بعد ثقافي يميزه عن باقي الأجساد، فهو موضوع يخضع للتحليل الأنثروبولوجي من خلال تحديد هوية الإنسان، فالجسد حتماً من يعطي الإنسان وجهها وبدونه لن يكون على ما هو عليه، وكذا هو الحال بالنسبة لجسد المرأة الذي يشكل على مر التاريخ فتنة. من ضمن المعايير القيمية تحليل الخطاب الثقافي المنادي بالحرية والحقوقية ذلك الذي يعتبر الجسد الأنثوي من أكثر الموضوعات إشكالا خصوصاً إذا ما تعلق الأمر بتغيير الهوية من ذكر لأنثى تحت مسمى التحول الجنسي في سبيل اكتشاف الذات وفرضها في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الجنس؛ الجسد؛ الهوية؛ الجسد الأنثوي؛ الجندر؛ التحول الجنسي.

Abstract : The human body has a cultural dimension that distinguishes it from other bodies. It is a subject that undergoes anthropological analysis through the determination of human identity. Inevitably, it is the body that gives a human their face (identity); without it, they would not be as they are. The same applies to the woman's body, which throughout history has been constituted as an object of fascination (fitna).

Among the value-based criteria is the analysis of the cultural discourse advocating for freedom and rights—a discourse that considers the female body one of the most problematic subjects, especially when it comes to changing identity from male to female under the name of sexual transition (or sex reassignment) in pursuit of self-discovery and asserting one's place in society.

Keywords: Sex; Body; Identity; Female Body; Gender; Sexual Transition (Sex

1. مقدمة:

إن الاهتمام بالجسد من وجهة نظرة جمالية من حيث مسألة الجندر وتغييره حديث نوعا ما مقارنة بالاهتمام به طبيا وبيولوجيا، فهي من المواضيع المسكوت عندها في بعض الثقافات وقد تعتبر طابو في أخرى.

تزايد الاهتمام مؤخرا بقضايا المرأة وقد توالى المؤتمرات والهيئات التي ناقشت قضايا المرأة بدءاً بمؤتمر المكسيك 1975، تلاه مؤتمر كوبنهاغن عن 1980، ثم مؤتمر نيروبي 1985، وصولاً لمؤتمر بيكين 1995 الذي واكب التطلعات حول النوع الاجتماعي-الجندر-Gender، بدأت في أمريكا كحركة سياسية تدعو للمساواة بين الرجل والمرأة تحت مسمى Feminsm.

إن لحضور مصطلح الجندر منذ مؤتمر بكين 1995 أثار جدلا في الأوساط المختلفة غربية كانت أم عربية من رافض لها كونها ترتبط بالجانب الديني ومتقبل لها مناديا بالحرية، ماتوات بعده من تطورات مست الجندر من حيث أنه هوية اجتماعية يمكن اختيارها بحسب البيئة والسلوك الإنساني "فهو يعبر عن الأدوار التي يقوم بها كل من الرجل والمرأة والتي تعتبر بنظر المجتمع مناسبة لكل منهما" (السرحدان، فؤاد، الأسد، و الجبور، 2000، صفحة 10)، فقد اختلفت الأدوار بمرور العصور وأعيد توزيعها، لإبراز وجود المرأة كجسد أنثوي يثير عدة إشكالات، وصولاً لاختيار الجندر النسوي كهوية ناعمة يمكن لحضورها في المجتمع أن يصنع وظيفة اجتماعية فعالة من حيث كونها المؤثر الوحيد التي نحاول من خلال التطرق إليه كرهان وجودي يفرضه المتحول جنسيا من ذكر لأنثى مع إلقاء الضوء على قضية حضوره في المجتمع كجسد أنثوي بعد أن كان ذكرا لا هوية له.

2. الجنس:

الجنس حالة نولد بها، من حيث المعطى الطبيعي الثنائي تبرز تصنيفات بيولوجية يتم من خلالها فصل الفرد إلى ذكر أو أنثى، فيظهر ذلك جليا من خلال السلوك والممارسات، " الوظائف الذكرية والأنثوية هي أساس التقسيم الكبير والأول الذي يقوم به الفكر" (بونت و ميشال، 2011، صفحة 437).

السمات الذكرية: الخشونة، حرية الحركة/التصرف...

السمات الأنثوية: الرقة، ملازمة المنزل..

وهو ما يحدد هوية الإنسان على افتراض أن "الجسد الأساس المفضل للشعور بالهوية" (كاترين و جان كلود، 2010، صفحة 43) لقوله تعالى: "يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور" (القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية: 49).

3. بيولوجيا:

يملك الذكور كروموزوم X و كروموزوم Y بينما تمتلك الأنثى زوجين (2) من كروموزوم X منتشرة في كل خلية من خلايا الجسم الإنساني، وتختلف هرموناتها وبنية المخ والجهاز التناسلي والعضلات... الحقيقة العلمية التي من شأنها أن تجزم أن الطبيعة الإنسانية ثنائية الجنس للنوع البشري منذ فجر التاريخ.

4. الهوية:

إضافة لكونها مجموعة من السمات الجوهرية التي تميز فردا عن آخر أو جماعة عن أخرى "فالهوية موضوع ميتافيزيقي يعبر عن أن يكون الإنسان متطابقا مع ذاته" (بين و طعيلي، 2021، صفحة 204) معبرا على دلالة ثقافية بحتة لا يقوضها لا الزمان ولا المكان، ومن هذا المنطلق يمكن الجزم على أنها ليست مجرد سمات مميزة بل هي إحساس واع بالذات ولا يتحقق هذا إلا من خلال التفاعل في الحياة الاجتماعية،

الجسد الأنثوي وإشكالية الجندر: قراءة في الوجود

فالهوة هنا تعبر عن " مجموع التصنيفات الإنمائية التي يرى بواسطتها الإنسان نفسه ومحيطه " (الكوحي، 2014، صفحة 13) فيطرح السؤال: من أنا؟ ماذا أمثل في هذا المجتمع؟

5. الجندر/ النوع الاجتماعي:

من حيث الطرح الأنثروبولوجي ينتج النوع الاجتماعي مجالا ثقافيا جديدا وفق الأنماط الخاصة بكل فكر/ثقافة.

إن النوع الاجتماعي يتغير بتغير البيئة، ففي بعض الثقافات تقوم المرأة بمهن وحرف ذكورية قد تكون مخالفة للفطرة الإنسانية في حين أن هناك فكر مخالف ينادي بإبراز الصفات الأنثوية كملزمة المنزل وإنجاب الأطفال ورعايتهم... وكل ما يستوعبه معنى الدور الاجتماعي للمرأة، فالجندر هنا يتحدد من خلال الأدوار الذكورية والأنثوية الفطرية والمكتسبة.

فالجندر هنا هو مفهوم اجتماعي يعبر عن شعور الفرد بنفسه داخل جماعة معينة بهوية معينة، فالجنس معطى بيولوجي أما الجندر معطى سوسيوثقافي. إذ أن الجنس هي الحالة الثابتة التي نولد بها أو بتعبير أصح الفطرة أما الجندر حالة نكتسبها وقد تتغير حسب الثقافة، ما يبرز عدم تطابق الجنس مع الهوية الجندرية، من خلال إعادة تشكيل الهوية والشعور بها ومحاولة فرضها في المجتمع.

ومن هذا المنطلق يمكن تعريف الجندر على أنه: "الخصائص الاجتماعية المجسدة للاختلافات في السلوك ما بين الرجل والمرأة داخل ثقافة معينة" (السباعي، 2011، صفحة 267).

وبعيدا عن الحقيقة البيولوجية، للثنائية المسلم بها للنوع البشري ومعاييرها القيمية التي تحكم على المرأة وعلى صورتها النمطية في الفكر السوسيوثقافي ونخص بذلك المجتمعات العربية الإسلامية فهي غير قادرة على مساوتها بالرجل في الأدوار والمكانات الاجتماعية، لا يمكن نفي وجود ثقافات تعترف بأكثر من جنسين "ليصبح الرجل والمرأة من هذا المنطلق هما ثقافة وليسا طبيعة" (بوحناش، 2021).

آمنة بلحساين، فاطمة رزايقية

يوضح مفهوم الجندر/النوع الاجتماعي من المنظور الثقافي انتقال الجسد من الطبيعة الجنسية إلى الهوية الجندرية بغرض تحقيق شعور الفرد بذاته من خلال الوظائف التي ينسبها لنفسه مع إبراز الفروق الحاصلة نتيجة لعوامل نفسية، دينية، اجتماعية، ثقافية.. مدركا أن الهوية الجندرية هي السبيل لتعريف كل منا نوعه.

6. ظاهرة التحول الجنسي:

انتشرت مؤخرا موجة التحويل الجنسي عبر العالم حتى ورغم رفضها في الثقافة العربية الإسلامية إلا أنها اكتسحت المجتمعات بين القبول والتحفظات من جهة وبين الرفض القاطع حسب كل ثقافة وحواجزها، مبررة بذلك الحرية الشخصية الناتجة عن رغبة نفسية تحاول إثبات الذات كذكر أو أنثى وإدراكها والشعور بها في سبيل تحديد الهوية الجندرية التي تؤثر فيها العوامل النفسية والاجتماعية، فالجندر هنا قابل للتحويل.

التحول الجنسي: "حالة مرضية تعكس عدم التوافق بين العوامل البيولوجية للأعضاء التناسلية للشخص والعوامل النفسية" (سعد، 1993، صفحة 138) فنحن في زمن تعدى الجنس من أمراض عضوية واضطرابات نفسية إلى حرية اختيار الفرد لجندره نتيجة ضغوطات نفسية تستدعي تعديل الأعضاء لتناسب الهوية تفاديا لشعور الشخص بتناقض بين جنسه البيولوجي وهويته الاجتماعية وجانبه النفسي. التغيير الجنساني هو ما يظهر من الفرد من سلوك ومظهر خارجي... لإظهار هويته الجنسانية للآخر.

قانوننا هناك حالتين:

- 1- الحالة الخنثى: إذ لا يتبين إن كان الفرد ذكرا أم أنثى في هذه الحالة وجب عليه القيام بتحاليل هرمونية ومن ثم العلاج فالانتماء لجنس معين.
- 2- أفراد يظهر جنسهم في بنيتهم الجسدية ولكنهم يشعرون بانتمائهم للجنس الآخر. (كالنساء المسترجلات/الرجال المخنثين).

الجسد الأنثوي وإشكالية الجندر: قراءة في الوجود

ذهبت عمليات التحويل الجنسي إلى أبعد من ذلك فلم تعد قضية أمراض عضوية تصحيحية واضطرابات نفسية بل أصبحت حرية شخصية واختيار ذاتي مستنديين على وجوب التمييز بين الهوية الجنسية والجنس البيولوجي وهذا ما تدعمه الحركات التي تنادي بالتححرر من قيود المجتمع تحت شعار حقوق الإنسان والأفكار التنويرية التي تنادي بالجسد من حيث أنه كيان اجتماعي حامل لثقافة تفرض وجودها وتكفل امتلاك الفرد لجسده وحرية التصرف فيه إذ أن "الجسد يشكل الأساس المفضل للشعور بالهوية" (كاترين و جان كلود، 2010، صفحة 43).

- تقول الناشطة الأمريكية في حقوق المرأة Anne OUKLEY "الجندر ليس نتاجا مباشرا للجنس البيولوجي". فهو الذكورية والأنثوية المحددة اجتماعيا... "وأهما لا يتحددان بيولوجيا وإنما من خلال صفات اجتماعية، ثقافية، نفسية مكتسبة" (غلوفر و كابلان، 2008، صفحة 440)

قد يختلف مدى القبول بين أفراد المجتمع والاندماج فيه تبعا للتشريعات والممارسات الثقافية، إن التحديات الطبية التي تواجه العالم عامة والأوساط الصحية خاصة في مختلف الثقافات عمليات التحويل الجنسي التي من المفروض أن تبدأ بتشخيص طبي:

القانون العراقي يبيح جواز وإباحة تثبيت الجنس للخنثى حسب الراجح من حاله وفق ما يشتهه الأطباء بعد القيام بالتحاليل الطبية اللازمة يثبت وجود مرض عضوي خلقي لهذه الخنثى مختلط الذكورة والأنوثة "وهذا عكس عمليات التحويل الجنسي التي تتم لدوافع نفسية بتجريمه نظرا لما فيه من مفسد على الفرد والمجتمع" (معيزة، 2017، صفحة 23).

أفتى فضيلة الشيخ أ.د محمد شريف قاهر رئيس لجنة الفتوى بالجلس الإسلامي الأعلى بتاريخ 2001/12/19 بتحريم التحول الجنسي فهو مسخ وتغيير لخلق الله. وانطلاقا من كون الدين تحلي مهم من تجليات هويتنا الثقافية يعتبر "عاملا أساسيا ليس فقط في صياغة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وإنما

آمنة بلحساين، فاطمة رزايقية

أيضا في الاختيارات الفردية ذاتها" (الكوخي، 2014، صفحة 15) وهذا ما يثبت صرامة المعايير القيمية الرادعة في ثقافتنا العربية الإسلامية ووجوب الخضوع لها.

أما في إيران، التي تعتبر قبلة أتاحت فرصة للراغبين وكانت أعدادهم هائلة لإجراء عمليات التحول وذلك استنادا على بعض الأوراق الرسمية التي يمكن لأي كان الحصول عليها بعد تأشيرات الأخصائي النفسي، ورجال الدين ما يخولهم إلى الحصول على بطاقات هوية جديدة تبعا للجنس المكتسب. "فالجسد هنا يتعرض بالتدريج لفقد طبيعته" (ابراهيم، 2009، صفحة 120) مستسلما للتحولات الشهوانية ذات الدلالة الأنطولوجية التي تسمح بضياغ الفطرة بين الجنس البيولوجي والهوية الاجتماعية، وهذا ما يبرز وعيه بكيونته المادية التي تعكس قوة حضوره في المجتمع، والتالي يمكن الجزم أننا "نملك جسدا جنسيا قابلا لتعيين هويته" (ابراهيم، 2009، صفحة 117)

من المسلم به أن الجسد إبداع رباني، وحسب لسان العرب نعني بالجسد جسم الإنسان ولا يقال لغيره من مخلوقات الأرض، وعلى حد تعبير رولان بارث ROLAND BARTHES "الجسد الجمالي الذي أصبح موضوعا لتمثيلات فنية" (الديالمي، الصفحات 13-14) هذا ما يبيح عمليات التغيير الجنسي التي تمنح الجسم الجمال المراد تحقيقه في الجسد نفسه لتلبية احتياجات نفسية تعبر عن أزمة داخلية وشخصية للمتحول،

هي قوانين مدنية لثقافات غربية تعطي كامل الحق للفرد المتحول في أوراق رسمية حسب الجنس المحوّل.

7. قضية وجود:

إن مفهوم الجندر أنثروبولوجي بحث يهدف إلى إعطاء معاني اجتماعية للفرد، جل الثقافات تختلف في تحديد السمات للذكورة والأنوثة بل وحسب البناءات السوسيوثقافية فالمجتمع هو المسؤول عن تحديدها استنادا إلى الأدوار الاجتماعية. من هنا نلاحظ عدم التوافق بين الحتمية البيولوجية للإنسان والهوية الاجتماعية/الجندرية للفرد.

الجسد الأنثوي وإشكالية الجندر: قراءة في الوجود

بعض الحالات قد تكون طبية محضة، ما يعرف في الأوساط العلمية الإكلينيكية بالتصحيح الجنسي لتعديل مظهرهم الجسدي بهدف تحقيق تناسب بين الهوية الاجتماعية للفرد ومظهره الذي يظهر به للمجتمع فضلا عن تحسين جودة حياته وسهولة اندماجه.

إن أغلب عمليات التحول الجنسي تكون من ذكر لأنثى لفرض وجودهم في المجتمع قد يرجع ذلك للحراقة التي تعتبر أقل تعقيدا مقارنة بالحالة الثانية، يضاف إلى ذلك، من الناحية السوسيوثقافية فالذكر المتحول لأنثى يتخلى بالضرورة على فرض لهيمنته في المجتمع ويصبح خاضعا باعتباره أنثى أو كما يعتبرها البعض هروبا أو تجنبيا لضغط الأدوار الذكورية في الأوساط المحيطة ما يحقق القطيعة مع ماض غير مرغوب فيه لم يحقق الانسجام المطلوب بين الذات الداخلية والهوية الجندرية من جهة وبناء علاقات اجتماعية من جهة أخرى.

يعرف نفسه على أساس الجنس كما لو أن لا وجود لعناصر أخرى مكونة للهوية، من دين، لغة، عرق فيتم إقصاء كل تلك العناصر تلبية الحاجة الجنسية التي يحاول فرضها في المجتمع، وبذلك يكون قد ألغى كل العناصر من أجل أن يظهر البعد الجندري كأساس للتعريف عن نفسه.

ما بين فئة تثبت الجنس وأخرى تظهر اضطراب الهوية الجنسية وتحول الجنس من ثابت إلى اصطناعي، يكون فيها الفرد مقتنعا بانتماؤه للجنس الآخر فتتكون لديه عقد نفسية نتيجة التناقض الداخلي المعاش بين هوية بيولوجية وأخرى جندرية. "فإن الشخصية الجنسانية للفرد هوية ما فوق البيولوجية" (الديلمي، الصفحات 13-14).

الملاحظ عن الفئة المتغيرة جنسيا تكون بالضرورة نائرة على قوانين الطبيعة والحتمية البيولوجية، قد يعود ذلك "لكراهيتهم للجنس الذي ولدوا عليه نتيجة لعوامل مختلفة، يعود أغلبها إلى فترات مبكرة من حياتهم... نتيجة للفكر العام الذي يسود العالم الغربي ويراد فرضه على العالم" (أبو لحية، 2007، صفحة 50) فنجدها في صراع نحو البحث على ما يتوافق معها من مظهر جسدي وهوية جندرية، والشائع عن

آمنة بلحسان، فاطمة رزائية

المتحولين جنسيا لديهم اعتقاد في هويتهم جازمين على أنهم إناثا فيخوضون تجربة العمليات التحولية لإعطاء الملامح الأنثوية للجسد كالوجه والصوت الناعم وضبط الهرمونات...

اعتقادا منهم بضرورة حضورهم في الأوساط المجتمعية كهوية أنثوية وتمتعهم بعدالة مجتمعية في حالة عيش المتحول في مجتمعات غربية تضمن كرامتهم وتدعم حقوقهم وتحميهم من الحركات العنصرية الاضطهادية،

والعكس تماما في الثقافة العربية الإسلامية التي تستنكر الظاهرة وتقابلها باستهجان دون إغفال عامل السخرية. فلا الدين ولا العرف ولا القانون يعترف بالمرض أو الاضطراب.. إلا في حالات خاصة جدا يتم الفصل فيها بحضور ممثلين عن رجال الدين والأطباء الشرعيين وكذا الأخصائيين النفسانيين، والتي يتم التطرق فيها للمرض العضوي إن وجد للإقرار بعملية التصحيح الجنسي لا غير.

8. الخاتمة:

موضوع التحول الجنسي Transsexualism موضوع صعب التناول، فقد حارت فيه المجتمعات وخاصة المسلمة منها بين الحريات والتعاليم الدينية، إذ أن لعدم الشعور بالرضا عن الجنس البيولوجي الدافع الأول والعامل الرئيسي لتوجيه الأفراد إلى جراحات كبيرة لتحويل جنسهم بعد العلاج الهرموني والنفسي رغم الضغوطات المجتمعية الممارسة على هذه الفئة إلا أنه في تصورهم أن التحول (العبور) الجنسي يكسبهم كينونة، ووجود مادي، وهذا بتطويق الجسد بقيود ثقافية باسم التحضر ومواكبة التحديث.

9. قائمة المراجع:

- ابتسام بين، و محمد الطاهر طعيلي. (2021). بناء مقياس الهوية لدى المراهقين في ضوء نظرية إيريكسون للنمو النفسي الاجتماعي. مجلة العلوم النفسية والتربوية، 2(7).
- أحمد محمود سعد. (1993). تغيير الجنس بين الحظر والإباحة، دكتوراه في القانون المدني (الإصدار 1). مصر: دار النهضة العربية.
- آلبرن كاترين، و روانو بوبالان جان كلود. (2010). الهوية والهويات: الفرد-الزمرة-المجتمع. (حسن إياس، المترجمون) دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة.

الجسد الأنثوي وإشكالية الجندر: قراءة في الوجود

- الزهرة ابراهيم. (2009). الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية-وجود الجسد. دمشق: النايا للدراسات والتوزيع.
- القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية: 49. (بلا تاريخ).
- بيار بونت، و إيزار ميشال. (2011). معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا (الإصدار 2). (مصباح الصمد، المترجمون) بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- خلود السباعي. (2011). الجسد الأنثوي وهوية الجندر (الإصدار 1). لبنان: جداول للنشر والتوزيع.
- ديفيد غلوفر، و كوزا كابلان. (2008). الجنوسة (الجندر). (عدنان حسن، المترجمون) سوريا: دار الحوار للنشر.
- عائشة بوحناش. (2021). الجندر في النظرية النسوية، قراءة في المفهوم وآليات اشتغاله. مجلة مدارات للعلوم الاجتماعية والإنسانية(3).
- عبد الصمد الديلمي. (بلا تاريخ). سوسيولوجيا الجنسانية العربية.
- عيسى معيزة. (2017). عمليات التحويل الجنسي بين الضرورة الطبية والقيود الشرعية والقانونية، دراسة فقهية قضائية مقارنة. المجلة الأكاديمية لجامعة نوروز.
- محمد الكوخجي. (2014). سؤال الهوية في شمال إفريقيا، التعدد والانصهار في واقع الإنسان واللغة والثقافة والتاريخ، إفريقيا الشرق. المغرب.
- محمود قطام السرحان، حسن فؤاد، سلافة ناصر الدين الأسد، و أمال عبد الحليم الجبور. (2000). النوع الاجتماعي-الجندر. عمان الأردن.
- نور الدين أبو لحية. (2007). الزواج المثالي. القاهرة: دار الكتاب الحديث.